

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

[231] الدرس الكبير أحدث انقسام الأمة بفعل بنى أمية أثره في الفقه. وليس كلام بعض المسلمين في أفراد من الصحابة إلا أثر من آثار هذا الانقسام. ومن الطبيعي ألا تمتنع الألسنة عما لم تمتنع عنه الأسلحة. وأن تستمر معارك الكلام وإن توقفت رحى الحرب. شق أهل الشام عصا الطاعة لأمير المؤمنين منذ استخلف. وانتهت يوم " وقعة الجمل " فتنة عمياء فيومئذ قال محمد بن الحنفية وهو يحمل الراية: هذه والله الفتنة الكاملة العمياء. وناداه أمير المؤمنين (هل عندك في جيش، مقدمه أبوك، شئ !). ونفر البطل للقاء أهل الشام في صفين. ورفع جيش معاوية المصاحف. ثم كانت خدعة التحكيم وخروج الخوارج وهزيمتهم. ولكنهم ظلوا يمثلون التعصب العميق لفكر لم يتمرس بالسياسة وتبعات القيادة وحقن الدماء. فلاموا عليا لقبوله التحكيم مع معاوية (1). وعندئذ لم يوالوا عليا ولا من والاه - لكن الدولة لم تؤل إليهم، ولهذا قل أثرهم في الاتجاه العام للأمة. وإنما الذي أحدث أثره العظيم في الأمة خلاف معاوية. إذ ولى الحكم وألزم ولاته بالطعن في علي. والتنكيل بمن والاه. ونظرت العامة إلى مصلحتها العاجلة في توقي الشرور من السلطة. ونظر المتفقهون - ومعهم جمهور الأمة -

(1) كفروا على لقبوله التحكيم ورأوا أن الخلافة لا بد لها منبيعة الجمهور. وأنها لا تنحصر في بيت معين وبرئوا من علي وعثمان ومعاوية. الأول لقبوله التحكيم والثاني لمخالفة سياسة الشيخين أبي بكر وعمر والثالث لاستيلائه على الأمر بالقوة.. يأخذون بظاهر العبارة من القرآن. ولا يأخذون من السنة إلا ما يرويه من يتولونهم. وعمدتهم في ذلك الأحاديث المروية على عهد الشيخين. وكل من تعدى حدود

الفاقد عندهم فاسق. ولذلك عدوا أشياع معاوية والذين لم يتبرءوا من علي وعثمان - وهؤلاء جمهور الأمة - خارجين على الإسلام واستحلوا ما لهم وقتلهم، وبهذا نفر الناس منهم. (*)
